هؤلاء العمال للعمل في البناء وفي الزراعة وفي التنظيفات وفي غيرها من الخدمات البلدية ٠

وهؤلاء ليسوا ممن يسمون ، رسميا ، « العمال المنظمين » ٠ ان « العمال المنظمين » هم اولئك الذين ترسلهم الى اماكن العمل مكاتب عمل اقيمت في اطار الجهاز العسكري الذي يتولى الحكم في المناطق المحتلة ٠ وتشير الاحصاءات الرسمية الى ان عددهم قد بلغ ، الان ، حوالي ٦٧ الف عامل (١) وان نسبتهم الى مجموع العمال في اسرائيل قد بلغت ٥ر٤ بالمئة ٠ وبلغت نسبتهم في اعمال البناء ٣٠ بالمئة ، وفي الزراعة ٢٥ بالمئة وفي اعمال التنظيف والخدمات (البلدية) ٢٠ بالمئة ٠ وبين الحمالين ٧ بالمئة (٢) ٠

وبلغ معدل الاجر الشهري (في سنة ١٩٧٦) ، للعامل « المنظم » من المناطق المحتلة ويعمل في اسرائيل ، ١٣٥٤ ليرة اسرائيلية او ما يعادل ٤٨ر٤ بالمئة من معدل الاجر الشهري للعامل الاسرائيلي (٣) ٠ ومما لا شك فيه ان القيمة الحقيقية لهذا الاجر قد انخفضت الان نظرا لسقوط قيمة العملة الاسرائيلية ، حتى اصبح الدولار الواحد يساوي الان ما بين ٥ر١٨ و ١٩ ليرة اسرائيلية ٠

أما العمال ، الذين التقيتهم في ساحة العجمي بيافا ، فهم من بين الوف العمال غير المنظمين الوافدين يوميا على ما يسمى « اسواق العمل الحر » في المدن الاسرائيلية ٠ وكل هؤلاء العمال ، « المنظمين » منهم وغير المنظمين ، لا يتمتعون بأية ضمانات اجتماعية ٠ ويقضون ساعات عديدة من حياتهم اليومية في السفر الى اماكن العمل وفي العودة منها ٠ والعديد منهم يتكلف اجور السفر من قريته الى المدينة ثم يعود دون ان يجد « سيدا » يشتري قوة عمله ٠ وهناك « اسياد » يفضلون ان يبيت عمالهم في مكان العمل نفسه ٠ ويغلقون عليهم الابواب بالمفاتيح « حفاظا على امن الدولة » ٠ وفي ١٩٧٦/٣/١٤ احترق حتى الموت ثلاثة من العمال العرب من غزة كان « السيد » قد اقفل عليهم ابواب مشغله في تل ابيب ليبيتوا فيه ٠ فشب حريق فلم يستطيعوا الافلات منه ٠ ونقرأ في الصحف اسبوعيا تقريبا ، عن « حوادث عمل » يذهب ضحيتها عمال من غزة او من احدى القرى المحتلة في الشمال وفي الشرق وفي الجنوب ٠

لقد انتابني الحرج حين التقيت هؤلاء العمال لاول مرة ٠ وذلك لان مزيجا من الشعور بالخجل وبالعجز تملكني ٠ فكيف ، كيف قيض لهذا الشعب ان يلف ويدور ، منذ حوالي اربعين عاما ، في حلقة مفرغة تطحنه ثم تطحنه دون ان يستطيع الفكاك منها والانطلاق نحو حريته التي يستحقها ، « على الاقل » ، شأنه شأن بقية الشعوب ؟!

فأنا ، مثل بقية ابناء جيلي ، اذكر العمال « الغزاوزة » ٠ هكذا كنا نسمي ، في الثلاثينات وفي الاربعينات ، العمال القادمين من غزة ومن جنوب فلسطين